قراءات في "كتاب الإيمان" لشيخ الإسلام أحمد ابن تيميّة (2)

بقلم الشيخ ؛ محمّد القرشي

إن الحمد لله نحمـده ونسـتعينه ونصـلي ونسـلم علـى خير خلقه وآله وصحبه.

أما بعد،

فقد بدأنا في الحلقة الماضية في «قراءات فـي كتـاب الإيمان» لشيخ الإسلام أحمـد بـن تيميـة رحمـه اللـه والآن نكمل معكم بحول الله وقوته ما يتيسر من هذه القراءة...

فإلى كتاب الإيمان والقراءة الثانية إن شاء الله.

قال شيخ الإسلام الإمام الحجة أحمد بـن تيميـة رحمـه الله: (وفي حديث عبد الله بن عبيد الله بن عمير أيضاً عـن أبيه عن جده، أنه قيل لرسول الله صلى الله عليـه وسـلم : «ما الإسلام؟ قال إطعام الطعام، وطيب الكلام. قيل: فمـا الإيمـان؟ قـال: السـماحة والصـبر. قيـل: مـن أفضـل المسلمين إسلاماً؟ قال: من سـلم المسـلمون مـن لسـانه ويده. قيـل: مـن أفضـل المـؤمنين إيمانـاً؟ قـال: أحسـنهم خلقاً. قيل: فما أفضل الهجرة؟ قال: من هجر ما حرم الله عليه. قيـل [1] : أي الصـلاة أفضـل؟ قـال: طـول القنـوت. قيل: أي الصدقة أفضل؟ قال: جهـد المقـل. قيـل [2] : أي الجهـاد أفضـل؟ قـال: ان تجاهـد بمالـك ونفسـك فيعقـر جوادك، ويراق دمك. قيل [3] : أي الساعات أفضـل؟ قـال: جوف الليل الغابر») [4].

ومعلـوم أن هـذا كلـه مراتـب بعضـها فـوق بعـض، فالمهاجر لا بد أن يكون مؤمناً، وكذلك المجاهد، ولهذا قال: «الإيمان: السماحة والصبر»، وقـال فـي الإسـلام «إطعـام الطعام، وطيب الكلام».

والأول مستلزم للثاني، فإن من كـان خلقـه السـماحة،

[1] جاء في هذه النسخة: قال. وأنا أثبت قيل لمسايرة النص.
[2] جاء في هذه النسخة: قال. وأنا أثبت قيل لمسايرة النص.
[3] جاء في هذه النسخة: قال. وأنا أثبت قيل لمسايرة النص.
[4] ضعيف بهذا السياق وفيه قطع صحيحة بأسانيد أخرى.

فعل هذا بخلاف الأول، فإن الإنسان قد يفعـل ذلـك تخليقـاً، ولا يكون في خلقه سـماحة وصـبر. وكـذلك قـال: «أفضـل المسلمين من سلم المسـلمون مـن لسـانه ويـده» وقـال: «أفضل المؤمنين إيمانـاً أحسـنهم خلقـاً» ومعلـوم أن هـذا يتضمن الأول، فمن كان حسن الخلق فعل ذلك.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وقيل للحسن البصـري: ما حسن الخلق قال - أي الإمام البصـري - : «بـذل النـدى، وكف الأذى وطلاقـة الـوجه» وكـف الأذى جـزء مـن حسـن الخلق.

قال مقيّده عفا الله عنه:

فالمؤلف هنا يريـد أن يثبـت أن هـذه المراتـب لا تعنـي أبداً أنها منفصلة عن بعضـها البعـض وإن الرجـل يمكـن أن يكون مجاهداً دون إيمان وتصديق وإسلام ظـاهر فالمسـلم وإن كان أقل مرتبة من المؤمن إلا أنه لا يكون مسلما حقـاً حـتى يشـهد أن لا إلـه إلا اللـه ومـع ذلـك يعـترف مؤمنـاً بالملائكة والكتب والقدر، وإلا فلو كفر بالملائكة فلا يسـمى مسلماً إن شهد الشهادة مليون مرة، أو كفر بالقدر وكـذلك العكس فلا يمكن أن يكون مؤمناً يعترف ويقر مؤمنـاً بـالله رباً وبالكتب والرسل واليوم الآخر والملائكـة والقـدر خيـره وشره ثم هو لا ينقـاد للشـريعة، فلا صـلاة ولا صـوم ولا حـد وتحكيم لله في حياته.

فالمؤمن هـو مـن آمـن بـالله وملائكتـه وكتبـه ورسـله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله سـبحانه وهـو مـع ذلك يوحّد الله في عبادته وفي أسمائه وصفاته يقيم الصلاة وما استطاع من الفرائض.

وهذا التنبيه مهم من شيخ الإسلام للأمة، لأننا نجـد فـي هذه الأيام من لا يأتي شيئاً من الإسلام والأعمال الظـاهرة، ثم يدّعي أنه مؤمن وأن إيمانه قوي بالله -زعموا-. ومن هنا وقعـت شـبه لبعـض المسـلمين بعـدم الحكـم علـى بعـض المرتدين بالكفر بحجـة أنهـم يصـلون مثلاً أو أنهـم يقولـون أنهم مسلمين، مع النواقض الكـثيرة لهـذه الـدعوى. فـانتبه حفظك الله وإياي إلى هذا وعض عليه بالنواجذ.

وستأتي الأحاديث الصحيحة بأن جعل الأعمال الظاهرة

من الإيمان كقوله صلى الله عليه وسلم «بالإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناه إماطة الأذى عن الطريق» [5].

وقوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد قيس: «بآمركم بالله وحده (ولعل الصحيح "أمركم بالإيمان بالله وحده" وهو في الصحيحين)، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وايتاء الزكاة، وان تؤدوا خمس ما غنمتم» [6].

ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله سبحانه بدون إيمان القلب: (أي التصديق والاقرار الذي لا شك فيه) فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وفي المسند عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بالإسلام علانية، والإيمان في القلب» [7]، وقال صلى الله عليه وسلم : «بإن في الكبد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب» [8]. فمن صلح قلبه صح جسده قطعاً بخلاف العكس.

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله (إمام المحدثين في مكة، من الحفاظ الكبار): كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات: من أصلح سريرته، أصلح الله علانيته. ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله بينه وبين الناس. ومن عمل لآخرته، كفاه الله أمر دنياه» [9].

فعلم أن القلب إذا صلح بالإيمان، صلح الجسد بالإسلام، وهو من الإيمان ما يدل على ذلك أنه قال في حديث جبرائيل: «بهذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم» [10]

---

[5] صحيح رواه البيهقي في شعبه وأصله في البخاري ومسلم وغيرهما

[6] أخرجه البخاري ومسلم من طريق ابن عباس. انظر الفتح ص 106 الجزء الأول كتاب الإيمان

[7] أخرجه الإمام أحمد في مسنده وهو ضعيف

[8] صحيح من حديث طويل عن النعمان في البخاري وغيره

[9] رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص

[10] رواه مسلم عن عمر رضي الله عنه

فجعل الدين هـو الإسـلام، والإيمـان، والإحسـان. فتـبين أن ديننا يجمع الثلاثـة، كمـن هـو درجـات ثلاث: «بمسـلم» ثـم «بمؤمن» ثم «بمحسن» كما قال تعالى {ثم أورثنا الكتاب الـذين اصـطفينا مـن عبادنـا فمنهـم ظـالم لنفسـه، ومنهـم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله... الآية}.

والمقتصد والسابق بـالخيرات كلاهمـا يـدخل الجنـة بلا عقوبـة، بخلاف الظـالم لنفسـه. وهكـذا مـن أتـى بالإسـلام الظاهر مع تصديق القلب، ولكن لم يقم بمايجب عليه مــن الإيمان الباطن، فإنه معرض للوعيد كما سيأتي بيانه.

وأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإيمان. والإيمان أعم مـن جهـة نفسـه وأخـص من جهة أصحابه من الإسلام. فالاحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمــان يــدخل فيــه الإســلام، والمحســنون أخــص مــن المؤمنين والمؤمنون أخص من المسلمين. وهذا كمـا يقـال فــي «بالرسـالة والنبــوة» فــالنبوة داخلــة فــي الرســالة والرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلهـا. فكـل رسول نبي وليس كـل نـبي رسـولاً، فالانبيـاء أعـم والنبـوة نفسها جزء من الرسـالة فالرسـالة تتنـاول النبـوة وغيرهـا، بخلاف النبوة فإنها لا تتناول الرسالة.

والنــبي صــلى اللــه عليــه وســلم فســر «بالإســلام والإيمان» بما أجاب به؟ كما يجاب عن المحـدود بالحـد، إذا قيل ما كذا؟ قيل: كذا وكذا. كما في الحـديث الصـحيح لمـا قيـل: مـا الغيبـة؟ قـال: «بـذكرك أخـاك بمـا يكـره» [11] والحديث الآخر قال: «بـالكبر بطـر الحـق وغمـط النـاس» [12].

وبطر الحق:حجبـه ودفعـه، وغمـط النـاس: احتقـارهم وازدراؤهم.

وسنذكر إن شاء اللـه سـبب تنـوع أجـوبته، وأنهـا كلهـا حق.

قال مقيّده عفا الله عنه:

---

[11] أخرجه أبو داود وصححه الألباني، صحيح الجامع 4063

[12] أخرجـه أبـو داود والحـاكم وصـححه الألبـاني فـي صـحيح الجامع 4484

ومعنى الحـد، والمحـدود، هنـا المعـرّف والمعـرف بـه. وهذه من المصطلحات الـتي درج عليهـا العلمـاء فـي ذلـك الزمان وقبله بزمان، يوم دخلت هذه المصطلحات مع علـم الكلام والجدل واسـتعملت ألفـاظ تفيـد غايـات معينـة عنـد أصحاب كل فن مـن الفنـون. ولكـن لمعنـى اللفظـة معـان أخرى منها ما هو صحيح كالحد: بمعنى حـدود الأرض والبلـد وحدود الحـرم مثلاً ومنهـا مـا يتوقـف فيـه حـتى يفسـر أي المعاني المرادة له قالها فهي من المجملات الـتي لا يجـوز نفيها ولا إثباتها قبل البيان والتثبت. مثـل قـول بعضـهم فـي كتب الكلام والحديث عن الذات الإلهيـة المقدسـة هـو غيـر محدود.

وإلـى لقـاء آخـر إن شـاء اللـه مـع قـراءة أخـرى مـن قراءات في كتاب الإيمان.

والله وحده أسأل أن يجعل ذلك ممـا ينتفـع بـه ويجلّـي حقائق غفل عنها بعض المسلمين وجهلها آخرون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عن مجلة نداء الإسلام

تم تنـزيل هذه المادة من منبر التوحيد والجهاد

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.com
http://www.alsunnah.info